الترجمة و الثقافة و تحدّيات العولمة

بوشوشة مسعودة (طالبة دكتوراه)
معهد الترجمة جامعة الجزائر 2

ملخص:

يتناول هذا المقال علاقة الترجمة و الثقافة و اللغة و جسر التواصل الذي يربط بينهم و كذا يناقش أهمية العولمة و تأثيرها السلبي و الإيجابي على الثقافة و اللغة و الترجمة. فمن المعلوم أن الترجمة أداة تبليغ و إيصال المعلومات و الفكر الإنساني من مجتمع إلى آخر ، كما تطرقنا إلى مفهوم العولمة الثقافية و الكم الهائل من المعلومات التي ترد إلى العالم العربي من العالم الغربي بشكل يومي ، لذلك ارتأينا إبراز دور المترجم المتخصص و ضرورة تكوينه لمواكبة التطور الحاصل في العالم في ظل الانفتاح على الحضارات الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الترجمة - اللغة - الثقافة - العولمة الثقافية

Abstract:

This article deals with the relationship of translation, culture, language and the communication bridge that connects them, and discusses the importance of globalization and its negative and positive impact on culture, language and translation. It is well known that translation is a tool for communicating and the dissemination of information and human thought from one society to another. We also touched upon the concept of cultural globalization and the vast amount of information that comes to the Arab world from the Western world on a daily basis, and we have thought to highlight the role of the specialized translator and the necessity to train qualified translators to keep up with the development of the world and to be open to other civilizations.

Keywords : Translation – language - culture – cultural globalisation

مقدمة:

تعدّ الترجمة وسيلة تبادل ثقافي و معرفيّ بين الشعوب و الأمم، و جسر تواصل بين اللغات و الثقافات. و تسعى بذلك إلى توسيع الفكر الإنسانيّ و الحضاريّ من أجل الارتقاء بالفن و الحضارة. و أصبحت بفضل العولمة تحتل مكانة كبيرة لتبادل الأفكار و المعارف و الانجازات خاصة العلميّة و الثقافية التي تساهم بدورها في تطوّر الحضارات.

الترجمة :

لم تكن الترجمة يوما مجرّد نشاط لسانيّ قائم على ما قيل أو كتب، بل إنها فعل معرفيّ و لساني معقّد. فالترجمة فاعلة في نقل الثقافة و" تعدّ نقلا للحضارة و الثقافة و الفعل" (1). فهي تتجاوز أفقها الجماليّ و الفكري الإبداعي الدلالي نحو الآفاق الثقافية الكبرى لتصبح عنصرا مهمّا في المساهمة في التنمية الفكريّة و تطوير الأدب. و بالتالي فهي" ظاهرة مهمة من الظواهر المميّزة للحركة الثقافية." (2)

يرى العديد من العلماء أنّ الترجمة " حاجة إنسانيّة لنقل الأفكار و المعلومات بين اللغات المختلفة بغية إحداث التبادل الثقافي بين الشعوب و تقريب المفاهيم و الثقافات بين الأمم." (3) و لطالما ارتبطت الترجمة باللغة و الثقافة فهي

" جسر يربط بين الثقافات المختلفة، كما أنّها تعتبر الوسيلة التي نتمكّن بواسطتها من الإطـــلاع و معرفـــة أحـــدث مـــا توصّلت إليه الدول المتقدّمة من المجالات العلميّة و التكنولوجيّة و مختلف ميـــادين المعرفـــة و الأدب و الفنـــون." (4) فالترجمة ليست مجرّد عملية نقل لغويّة، بل هي نشاط إنسانيّ حيويّ مهم ساهمت في نشر حضارات أمم سابقة تلاشـــت مع مرور الزمن، و كذا تواكب تطوّر العلم و النفوذ الثقافيّ و الاقتصادي و حتى السياسي إذ أنّها كانت فاعلة في تكوين إرث ثقافيّ و سياسي قوي (...) و أسهمت في التحديث الثقافي و التغيير الاجتماعيّ. (5)

الترجمة و الثقافة:

تعدّ الترجمة من أهمّ الظواهر الثقافية و ركيزة من ركائزها، فمن خلالها يتم التواصل و التبـــادل الحضـــاريّ و الثقافيّ، فهي " مجموع التفاعلات التي تحدث نتيجة شكل من أشكال الاتصال بين الثقافات المختلفة : كالتأثير و التـــأثّر، و الاستيراد، و الحوار، و الرفض و التمثّل، و غير ذلك، مما يؤدّي إلى ظهور عناصر جديدة في طريقـــة التفكيـــر و أسلوب معالجة القضايا و تحليل الإشكاليات، الأمر الذي يعني أنّ التركيبة الثقافيّة و تركيب المفاهيم لا يمكن أن تبقى أو تعود _ بأيّ حال من الأحوال_ إلى ما كانت عليه قبل هذه العمليّة." **(6)**

ترتبط الثقافة باللغة ارتباطا وثيقا لأنّ " استيعاب ثقافة ما يعني في المقام الأول استيعاب لغتهـــا." **(7)** و تعـــرّف الثقافة على أنّها " كل مُركّب يشتمل على المعرفة و المعتقدات و الفنون و الأخلاق و القانون و العرف و غير ذلك من الإمكانات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في مجتمع." **(8)** و تعدّ الثقافة أيضا " مركّبا متجانسا مـــن الذكريات و التصوّرات و القيم و الرموز و التعبيرات و الإبداعات و التطلّعات التي تحتفظ الجماعة البشرية من خلالها بهويّتها الداخلية." **(9)**

و تعتبر لفظة "ثقافة" شائعة الاستعمال لارتباطها بالعلم و التّطور و أصلها اللاتينـــي "cultura" و التـــي تعنـــي حرث الأرض و زراعتها و إصلاحها ثم اكتسبت هذه اللفظة دلالات جديدة كالحذق و الفطنة و الذكاء و سرعة التعلّم و التأديب. **(10)** . و في تهذيب اللغة يقول ابن السكيت : " رجل ثقف لقف إذا كان ضابطا لما يحويه قائما بـــه، و يقـــال ثقف الشيء و هو سرعة التعلّم " **(11)** . أمّا من الناحية الاصطلاحية، فيقصد بها " الرقيّ في الأفكار النظريّة و ذلـــك يشمل الرقيّ في القانون و السياسة و الإحاطة بقضايا التاريخ المهمّة و الرقي كذلك في الأخلاق و السلوك و أمثال ذلك من الاتجاهات النظرية." **(12)**

و قد ربط مالك بن نبيّ مفهوم الثقافة بالعالم الخارجيّ الذي يكتسب منه الفرد تصرّفاته و أخلاقه واصفا الثقافـــة بأنها " مجموعة من الصفات الخلقيّة و القيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته و تصبح لاشعوريّا العلاقة التـــي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، فهي المحيط الذي يشكّل فيه الفرد طباعـــه و شخصـــيّته." **(13)** فاللغة و التي تعتبر مجموعة معيّنة من القواعد التي يستخدمها مجتمع معيّن كأداة للتعبير و التواصل، هي جزء من ثقافة ذلك المجتمع. و من جهة أخرى توجد جماعات بشرية ذات ثقافة مشتركة إلاّ أنّهم يختلفون في اللغة، فغالبا ما تشـــترك الثقافة و اللغة في الأصل لتشتركا في عملية التواصل لبناء هويّة اجتماعية و تطوير الفكر و الحفاظ على المجتمع.

إنّ أهميّة مفهوم الثقافة و انعكاساتها في الترجمة أمر مسلّم به بالرّغم من اختلاف الآراء حول ما إذا كانت اللغة جزءا من الثقافة أم لا، فالمفهومان **(**اللغة و الثقافة**)** غير منفصلين. فنيومارك لا يعتبر اللغـــة مـــن الناحيـــة الإجرائيـــة عنصرا من عناصر الثقافة، و هو في ذلك على النقيض من فيرمير الذي يرى أن اللغة جزء لا يتجزّأ مـــن الثقافـــة. و لذلك يرى نيومارك أن موقف فيرمير الذي يعني استحالة ترجمة اللغة المصدر بصورة مناسبة إلى لغة الهـــدف يمثـــل جزءا من دور المترجم في عملية الاتصال بين الثقافات.

أمّا نيدا فيرى أنّ الاختلافات اللغوية و الثقافية بين لغتي المصدر و الهدف يجب أن تُعطى الأهمية نفسها عند الترجمة. لأنّ الاختلافات بين الثقافات تؤدي إلى تعقيدات بالغة في الترجمة، قد تفوق تلك التي تخلقها الاختلافات اللغويّة. **(14)**

الترجمة و العولمة:

شهد العالم في الحقبة الأخيرة من القرن العشرين تشكيلا لنظام عالميّ جديد يسمى بالعولمة Globalisation. و تعرف العولمة بأنّها إعطاء الشيء صفة العالميّة، و خلق تواصل ثقافيّ بين مختلف الأمم و ذلك بتوحيد المفاهيم و المعارف و دمج سكان العالم في مجتمع عالميّ واحد، أساسه أدوات تكنولوجيّة و إعلامية موحّدة.

إنّ العولمة ألغت الحدود و الحواجز بين الدول، و أدّت إلى نوع من التفاعل الحضاريّ نتج عنه أنماط جديدة من التفكير و التعامل الإنسانيّ. و بهذا أخذت القيم و العادات و الثقافات طابع العالميّة بهدف تعزيز العلاقات بين الدّول. و كأبسط مثال على ذلك محلات و مطاعم الأكل السريع و الأكلات الشعبيّة التي فتحت خارج بلدها الأصلي، فهي من أهمّ ملامح العولمة الثقافية و كذا الاهتمام بحقوق الإنسان و انتشار أساليب حياة الدول الغربيّة المتقدّمة في الدول العربية عن طريق الثورة الإعلاميّة و وسائل التواصل الاجتماعي.

و يرى بعض الباحثين أنّ العولمة: اصطباغ العالم بصبغة واحدة شاملة لجميع الأقوام و كل من يعيش فيه في ظل توحيد الأنشطة الاقتصادية و الاجتماعية و الفكريّة و السياسية دون اعتبار لاختلاف الدّين و الثقافة و الجنسيّة و العرق. **(15)** و تتميّز العولمة بالاستعمال الشائع للانترنت و وسائل التواصل الاجتماعيّ و السمعي البصري. و هناك أشكال و ملامح عديدة للعولمة منها السياسيّة و الاقتصاديّة و الاجتماعيّة، أما محور دراستنا فهو العولمة الثقافية و علاقتها بالترجمة إيجابا و سلبا.

و انطلاقا مما سبق ذكره و " نتيجة لتوسّع العلاقات الرسمية و التجاريّة و الثقافيّة إلى جانب التطوّر الهائل في العلوم التكنولوجيا و ما صاحب ذلك من تراكم المعلومات الهائل مما جعل الترجمة وسيلة هامّة للتبادل العلمي و الفكري بين الشعوب." **(16)** فقد مكّنت الترجمة بعض القوى من النّمو بالرغم من صغر حجمها و لعبت دورا هامّا في عصر العولمة، حيث شكّلت جسرا منيعا للتواصل و التلاقح بين اللغات و الثقافات و هذا أدّى بدوره غلى خلق تفاعل اقتصاديّ و ثقافيّ و اجتماعيّ بين الأمم.

إنّ الترجمة تهدف إلى إبراز التعدّدية اللغويّة التي تحوي الخصوصيّات الثقافية بحيث أنّ " التقريب فيما بين اللغات الذي تتوخّاه الترجمة هو ، في الوقت ذاته إبعاد ، و أنّ الترجمة، إذ توحّد بين اللغات، تعمل بالفعل ذاته على خلق الاختلاف بينهما و إذكاء حدّته، فليست الترجمة خلقاً للقرابة فحسب، و إنّما أيضا تكريس للغرابة. إنّها ليست وصلا فحسب، و إنما هي انفصال و ابتعاد، إنّها تقريب الذات من الآخر لكنها أيضا فصل بينهما، فالمسافة بين الذات و الآخر لا يمكن أن تُلغى نهائيان إذ أنها لو أُلغيت، لما ظلّ هناك لا أنا و لا آخر." **(17)**

ويرى مؤيّدو العولمة أنّها " لا تهدّد الهويّة أو الهويات الثقافية بالفناء أو التذويب، بل تعيد تشكيلها أو تطويرها للتكيّف مع العصر." **(18)** على عكس معارضي العولمة الذين يرون أنها تحقق التواصل بين الشعوب لكنها لا تضمن الحفاظ على الخصوصيّة الثقافية بحكم أنها توحّد المفاهيم و القيم و التعدّد في السياق الثقافي العالميّ، كما أنّها تهدف و تصبو إلى " الاستلاب الثقافيّ و تدمير الهويّة الوطنية و أنبياء العولمة و فلاسفتها لا يُكنّون سوى الاحتقار للثقافات الأخرى غير الغربية و هم يصفونها بأنها مناقضة للعلم و التطور و العلم." **(19)** و تظهر الجوانب السلبية للعولمة و تأثيرها على الشعوب إذ أنّها " مخرج من مخارج النظام الرأسماليّ، و تعتبر ظاهرة معقّدة طوقت العالم كله، فهي ذات أبعاد اقتصادية و اجتماعيّة و حضاريّة و ثقافيّة و تقنية و بيئيّة شملت مرافق الحياة كلها **(...)** و العولمة الثقافية تمسّ

كافة مجتمعات العالم من مختلف الاتجاهات و لكن بدرجات متفاوتة." **(20)** مما يجعل دور الترجمة الثقافيّة غير مهم ومُهمّش في ظل هيمنة ثقافة واحدة و هذا عكس ما تصبو إليه الترجمة ، وهو الحفاظ على التنوّع الثقافيّ، فالترجمة لم توجد لتدمّر الهوية الوطنية و الثقافة كما تفعل العولمة، نظرا لهيمنة ثقافات الدول الاقتصادية الكبرى على بقية الثقافات المحلية البسيطة.

يرى بعض الباحثين في تاريخ العولمة الثقافية و تطورها، أنها حدث تاريخي ينبع من فكر و حكمة عدد كبير من الفلاسفة و الحكماء و العلماء اليونانيين مثل: سقراط و أفلاطون و أرسطو و غيرهم ، لأنه اتخذ مفهومه و وضعت أساسياته في القرن الرابع بعد الميلاد، و التي شكلت ثقافة غربية مميزة، و هذه الثقافة انتشرت و طغت في الفكر الغربي لقرون عديدة حتى وقتنا الحاضر. و كذلك يرى هؤلاء الباحثون أن غزو الرومان لشعوب أوروبا و المنطقة العربية و الإسلامية و نشر ثقافتها و علومها و فنونها، ساهم في وضع بذور العولمة الثقافية في العالم الغربي لقرون عديدة حتى وقتنا الحاضر. **(21)**

و تعتبر العولمة الثقافية ظاهرة قديمة قدم الإنسان، حيث من المتعارف عليه أن الثقافات القديمة تناقلت كافة متطلبات الحياة من خلال العادات و التقاليد بحيث لا يوجد مجتمع بدون ثقافة خاصة به، تتغذى و تنتقل من خلال المجتمع الذي يحويها **(22)** إلى غيره من المجتمعات الأخرى.

كما يرى العديد من معارضي العولمة أنها تؤثر سلبا على بعض المفاهيم باستخدام وسائل الإعلام و الانترنت و خير دليل على ذلك مفهوم الجهاد و الانتفاضة و خاصة مفهوم الإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة التي قلبت المفاهيم و جعلت من كل عربي مسلم إرهابيّا قاتلا دون تدقيق أو إعادة نظر في المفاهيم، فتشكيل هذه الأخيرة في ذهن المتلقي الغربي كان سهلا عن طريق الترجمة وسيلة للتبليغ عبر وسائل التواصل المتنوعة و بسرعة فائقة. أي أنّ تدفق المعلومات و المفاهيم الموحّدة أو بالأحرى المفروضة علينا يأتي من الغرب إلى الشرق، من الثقافة الأقوى و الطاغية و المهيمنة ، وبالتالي يحصل تبادل ثقافي غير متكافئ.

وبهذا فإنّ العولمة الثقافية تسعى لتعميم نموذج ثقافي تابع لمجتمع ما على حساب المجتمعات الأخرى، لتؤثر بذلك على المفاهيم و السلوكيات بوسائل سياسية و اقتصادية و تقنيات مختلفة. فهي " ليست ظاهرة حتمية لا يمكن صدها أو الوقوف في وجهها بسبب التطور والتقدم التكنولوجي، بل تجمل في باطنها شكلا من أشكال الغزو الثقافي، أي قهر الثقافة الأقوى لثقافة أضعف منها." **(23)**

و من هنا، فإن العولمة الثقافية تهدف إلى إفراغ الهوية الجماعية من القومية الوطنية و طمس ملامحها و يبدو ذلك جليّا في مجال الترجمة الذي أصبح منطلقه اللغة الإنجليزية كلغة علم و تخاطب يوميّ، نظرا للتطور العلمي و التكنولوجي لدول الغرب. كما أن استعمال الانترنت ساهم في اتساع نطاق استعمال اللغة الانجليزية و الترجمة منها و إليها، حيث أصبحت اللغة الثانية في أغلب بلاد العالم.

العولمة و المترجم المتخصص :

و من منظور آخر، ينتج عن العولمة الثقافية و حركة الترجمة سيل هائل من المصطلحات، و يشكل هذا السيل المتدفق تحدّيا للترجمة كأداة تبليغ من جهة، و المترجم من جهة أخرى. نظرا لوجوب مواكبة التسارع العلمي و إيجاد المقابلات للمصطلحات الوافدة عبر العولمة الثقافية و الفنية و العلمية و التكنولوجية، فهذه المصطلحات حاملة للمميزات الثقافية للغة المنقول عنها و تتطلب كفاءة المترجم إيجاد المصطلح المكافئ المشحون بالأبعاد الفكرية التي خلق منها هذا المصطلح.

و من هنا، تظهر الحاجة الماسة لتكوين مترجمين متخصّصين، فالتناظر و التكافؤ اللغوي ليسا كافيين، بل يجب بلوغ البنى اللغوية العميقة التي تضم المميزات و الأبعاد الثقافية و الفكرية و العلمية للمصطلح المترجم. و بهذا نعدّ العدّة لمواجهة كل ما يضخ إلينا من مصطلحات و عبارات بواسطة الترجمة و للإطلاع على ما لدى الآخرين من فكر و ثقافة في ظل الانفتاح على الحضارات و الثقافات الأخرى، و هنا يتجلى دور الترجمة و أثرها في التفاعل الثقافي و المساهمة في الفكر العالمي و حفظ التراث العالمي من الضياع و الاندثار. فقد أضحت الترجمة دون شك وسيلة من وسائل العولمة و نقل المعرفة، لكن يتوجب توخّي الحذر في تصفية كل ما يرد إلينا من معلومات بشكل يوميّ و توجيهيه بما يتناسب و هويتنا و عقيدتنا.

خاتمة:

تطرقنا في بحثنا لأهمية الترجمة التي تشكل جسر تواصل بين الثقافات المختلفة و الحضارات المتعددة و تلعب دورا هاما في تلاقح الأفكار و تثاقفها و التفاعل بين الأمم و الشعوب.

و تناول البحث مفهوم الثقافة و علاقتها الوطيدة باللغة و الترجمة و الحضارة و التصاق مفهومها بالتطور و الرقي و النمو في شتى مجالات الحياة الفكرية و الأدبية و الفنية و الاقتصادية و غيرها.

و ذكرنا في بحثنا هذا أن هدف الترجمة و الغاية المنوطة منها هو تهيئة التواصل الثقافي الذي يُعرّف الأمم و الشعوب بعضها ببعض.

و تعرضنا لمفهوم العولمة و أثرها في نقل الثقافة و توحيد المفاهيم و اختلاف الآراء بين مؤيدين و معارضين للعولمة، وكذا هيمنة ثقافات الدول الاقتصادية الكبرى على باقي دول العالم .

و في الأخير أكدنا على ضرورة تكوين مترجمين متخصصين لمواجهة الكم الهائل من المعلومات الواردة إلينا بشكل يومي.

و صفوة القول أنه مادامت مخاطر العولمة لا تمس أفرادا و مؤسسات فحسب، و إنما تقع مخاطرها على البناء الثقافي للمجتمع، فعلى الدول العربية أن تتبنى مشروع ترجمة مساند للمترجمين العرب لمواجهة التحديات التي تواجههم في سياق العولمة، و هي التخصص الذي يساهم في إيجاد المقابلات الثقافية للمصطلح المترجم، و يقوم كل هذا على عاتق الجامعات العربية و المجامع اللغوية و كذا مساهمة رجال الفكر و المعرفة و الاستفادة من وسائل التكنولوجيا الحديثة و الانترنت.

الهوامش:

(1) مندي جرمي، مدخل إلى دراسات الترجمة ، نظريات و تطبيقات، ترجمة هشام علي جواد، مراجعة عدنان خالد عبد الله، هيئة أبو ظبي للثقافة و التراث، كلمة، 2009 ص18

(2) جان ألكسان، الترجمة الأدبية و التنمية الثقافية، مجلة الوحدة ع 63/62 أكتوبر/نوفمبر ، 1989 ، ص 97

(3) صديق أحمد علي، إستراتيجيات الترجمة الثقافية، مجلة أما راباك، المجلد الرابع ، العدد 11 ، 2013 ، ص90

(4) شحاذة ألخوري، دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي، القسم 2، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس، 1987، ص84

(5) ينظر، فائز بن علي الشهري، الترجمة و العولمة، مجلة علامات في النقد، المجلد 12، العدد 48،جدة، جوان 2003 ن ص 821

(6) Michel de Coster : L'acculturation, Diogène (revue) N73 , 1971 p 28 ,

(7) جان بيير فارنيي ، عولمة الثقافة، ترجمة عبد الجليل الأزدي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2003، ص 13

(8) بدرية البشير، وقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي، دبي و الرياض أنموذجان ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ماي 2018، ص ص 50 / 51

(9) سهيل حسين الفتلاوي، العولمة و آثارها في الوطن العربي، دار الثقافة للنشر و التوزيع، عمان، 2009، ص 258

(10) ينظر، إبراهيم أنس و آخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، ط2 ، المجلد 2، القاهرة، 1960، ص 98

(11) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تهذيب اللغة ، تحقيق محمد عوض، ج9 ، ط1، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 2001، ص 81

(12) نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2001، ص 9

(13) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة (الحرفية في الثقافة)، دار الفكر ، الجزائر ، 2000، ص22

(14) ينظر، أميرة داود كشغري، الإشكالات الثقافية في ترجمة بيانات المثقفين، مجلة علامات، ج48، م 12، يونيو 2003، ص 283

(15) ينظر، سهيل حسين الفتلاوي، العولمة و آثارها في الوطن العربي، ص 40

(16) فائز بن علي الشهري، الترجمة و العولمة، ص 822

(17) عبد السلام بن عبد العالي، الترجمة أداة للتحديث، مجلة فكر و نقد، عدد 80/79، أفريل 2006، المغرب، ص 34

(18) أحلام الجيلالي، أثر العولمة في اللسان الرسمي (العربية نموذجا) ، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، ع 5، 2001، ص 128

(19) بشير إمام زكريا، في مواجهة العولمة،ج1، عمان، الأردن، 2000، ص 4

(20) ديانا أحمد راشد حاج حمد، أثر العولمة الثقافية على مواطني الضفة الغربية، مذكرة ماجستير ، إشراف أ.د عبد الستار قاسم، جامعة النجاح الوطنية، نابلس ،فلسطين، 2012، ص19

(21) محمد الشبيني، صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، دار العلم للملايين، لبنان ، يناير2002، ص 28

(22) جلال أمين ، العولمة و الهوية الثقافية و المجتمع التكنولوجي الحديث: العولمة و تداعياتها على الوطن العربي، أحمد ثابت و آخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، يناير، 2003